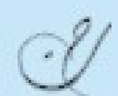
مجلة حوليات التراث
Revue Annales du Patrimoine
P-ISSN 1112-5020 / E-ISSN 2602-6945



الهُوية الثقافية في ظل العولمة

Cultural identity in light of globalization

وهيبة الغالي
جامعة مستغانم، الجزائر
wahiba.ghali27@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/7/20 - تاريخ القبول: 2024/8/30

24
2024

الإحالة إلى المقال:
* وهيبة الغالي: الهُوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الرابع والعشرون، سبتمبر 2024، ص 115-130.



http://annalesdupatrimoine.wordpress.com

***

مجلة حوليات التراث، العدد 24، 2024، ص 115 - 130
P-ISSN 1112-5020 / E-ISSN 2602-6945

الهُوية الثقافية في ظل العولمة

وهيبة الغالي
بإشراف د. لطروش الشّارف
جامعة مستغانم، الجزائر

الملخّص:

يحتلّ موضوع الهوّيّة موقع الصّدارة في مجالات عدّة خاصّة الفكريّة والفلسفيّة والسّوسيوثقافيّة حيث أصبحت كلمة "هوّيّة" تستعمل للدّلالة على المواقف التّاريخيّة والرّاهنة الّتي تعرفها الأمم بنُخبها ومفكّريها خاصّة في ظلّ الصّراعات القائمة بين الأديان والحضارات والسّياسات والإيديولوجيّات وغيرها من التّوجّهات المنتشرة. إنّ الهوّيّة الثّقافيّة تشهد أزمة وتحدّ كبيرين في ظلّ ظهور ما يسمّى بالعولمة الّتي تعتبر من أهمّ سمات العصر، إذ تحمل هذه الأخيرة في طيّاتها نظرة مرنة للسّيّادة والحدود الوطنيّة، ويبرز التّحدّي الّذي تواجهه الهويّة الثّقافيّة جرّاء ظهور العولمة في كون هذه الأخيرة تسعى جاهدة دون وضع أيّ اعتبار للخصوصيّة لفرض نفسها على بقيّة العالم - باعتبارها الثّقافة العالميّة أحيانا والمنتصرة أحيانا أخرى - مدعومة بالتّطوّر العلميّ والتّكنولوجيّ الّذي يشهده مجال الإعلام والاتّصال خاصّة، ففي فوضى هذه الطّفرة العلميّة والمعلوماتيّة بدأت الهويّة تفقد بعضا من سماتها، فكان لابدّ من البحث عن أسس جديدة للتّرويج للوطن والهوّيّة، فبدأ التّركيز على العامل الثّقافيّ كونه الرّكيزة الأساسيّة الّتي تقوم عليها هوّيّة الجماعات البشريّة المكوّنة للدّولة، فالعامل الثّقافيّ له وظيفة مهمّة تتمثّل في الحفاظ على الذّات باعتباره نظام من القيم والتّصوّرات الّتي يتّسم بها شعب أو مجتمع ما تبعاً لخصوصيّاته التّاريخيّة والحضاريّة.

الكلمات الدالة:

الهوّيّة والعولمة، الأزمة، اللّغة، الثّقافة، التّراث.

Cultural identity in light of globalization

Wahiba Ghali
Under supervision of Prof. Charef Latroche
University of Mostaganem, Algeria

Abstract:

The topic of identity occupies a prominent position in various intellectual, philosophical, and socio-cultural fields. The term "identity" is now used to refer

تاريخ الاستلام: 2024/7/20 - تاريخ القبول: 2024/8/30
wahiba.ghali27@gmail.com

to historical and current positions held by nations, especially in the context of conflicts between religions, civilizations, politics, ideologies, and other prevalent trends. Cultural identity faces significant crises and challenges in the era of globalization, a defining characteristic of the current age. Globalization carries a flexible view of sovereignty and national boundaries. The cultural identity confronts challenges due to the emergence of globalization, as it strives relentlessly, often without regard for privacy, to impose itself on the rest of the world. This is supported by scientific and technological developments in the field of media and communication. In the chaos of this scientific and informational surge, identity begins to lose some of its characteristics. Therefore, there was a need to search for new foundations to promote national identity. The focus shifted to the cultural factor as the fundamental pillar on which the identity of human groups forming a state is based. The cultural factor has a crucial function in preserving the self as a system of values and perceptions that characterize a people or society based on their historical and cultural specificities.

Keywords:

identity and globalization, crisis, language, culture, heritage.

المقدّمة:

لقد أثار موضوع الهُوّيّة ولا يزال جدلاً حاميا، إذ نجده يتجذّر بكلّ عُمق في مقاربات الفلاسفة والمفكّرين واتّسع مجال اهتمامه في خِضمّ هذا الزّخم المعرفيّ النّاتج عن التّطوّرات التّكنولوجيّة الهائلة الّتي تسجّل حضورها في زمن العولمة.

فمسألة الهُوّيّة واحدة من بين المسائل الّتي أثارت العديد من الإشكاليّات، سواء على المستوى العالميّ أم داخل الوطن العربيّ، حيث شهِدت السّاحة الفكريّة العربيّة والإسلاميّة - ومازالت إلى يومنا هذا - صراعات إيديولوجيّة واضحة في ظلّ التّنوّع الفكريّ والمذهبيّ الّذي شهده الوطن العربيّ الإسلاميّ، بين وجهات نظر تُمجّد التّراث حاملة صبغة ماضويّة أصيلة، وبين تيّارات تشقّ طريقها نحو المستقبل داعية إلى الانفتاح على الثّقافات العصريّة، وبين دعاة الأصالة ودعاة الحداثة هناك من اتّخذ الوسطيّة منهجا له في التّعامل مع قضايا العصر[1] الّتي تُعدّ الهُوّيّة واحدة منها.

والجدير بالذّكر أنّ قضيّة الهُوّيّة لَم تُطرح في سياق إشكاليّ بمحض الصّدفة، بل جاءت نتيجة حتميّة لصراع فكريّ قديم، بالإضافة إلى التّغيير الكبير الّذي شهده العالَم على مختلف الأصعدة، ومن جملة إفرازاته "العولمة" هذه الأخيرة الّتي زادت الصّراع حِدّة بين التّيّارات المختلفة، من خلال ما تحمله من أفكار وشعارات جديدة منافية لما تنصّ عليه الهُوّيّة القوميّة والثّقافيّة والوطنيّة لمجتمع أو شعب ما، نجدها بين معارضين ينادون بالرّفض المطلق لها، ومؤيّدين يَرون أنّ الأمر طبيعيّ يتماشى وسنّة التّطوّر في اعتقادهم، وبالتّالي نقف هنا أمام حقيقتين أو مشكلتين هما: الهُوّيّة وما تواجهه من تحدّيات في ظلّ التّجديد الّذي تفرضه العولمة.

من خلال المشكلتين السّابق ذكرهما نحاول البحث في الإشكاليّة القائمة بينهما، فإذا كانت "الهُوّيّة حقيقة وخصوصيّة لها مفكّرون يشتغلون عليها مهما كانت وجهتهم المذهبيّة، فإنّ العولمة كظاهرة لها مديرون ومبشّرون وقائمون على تفعيلها"(2)، وعليه فالعلاقة أصبحت مطروحة بهذا الشّكل، هل منطق الهُوّيّة ينافي العولمة أم يتعايش معها؟ وما هي التّحدّيات الّتي تواجهها الهُوّيّة في ظلّ العولمة؟ وما هي الأخطار الّتي تشكّلها العولمة على الهُوّيّة الثّقافيّة على وجه الخصوص.

1 - الهُوّيّة ودلالاتها:

الغرض من التّعريف بموضوع ما هو ضبط المسائل وتحديد جوهرها وسبر أغوارها، والهُوّيّة كونها مسألة لا طالما شغلت المفكّرين والباحثين والفلاسفة، يجب أن نعنى بتحديد مفهومها الّذي شكّل جدلا لدى العامّ والخاصّ، يجب أن ندرك ماهية الهُوّيّة وما كنهها، فقد اختلفت الإجابة عن هذه الأسئلة بدرجات متفاوتة، وعلينا أن نعمل على التّوفيق بين الآراء للوصول إلى تعريف جامع مانع.

أ - المعنى اللّغويّ:

لو عدنا إلى معجم لسان العرب لابن منظور سنجده قد ذكر كلمة "الهويّة" بفتح الهاء من الفعل هوى، يهوي، هوة، وقيل "الهَويّة" هي بعيدة المهواة "الحفرة

البعيدة القعر"[3].

وقد ورد لفظ "الهُوّيّة" بضمّ الهاء في معجم المعاني الجامع، فهي اسم منسوب إلى ضمير الغائب "هو" بمعنى الآخر، وقيل هُوّيّة الإنسان حقيقته المطلقة وصفاته الجوهريّة. أمّا الهُوّيّة الوطنيّة، فمعالمها وخصائصها المميّزة وأصالتها. وبناءً على هذا نخلُص إلى أنّ الهُوّيّة هي حقيقة الشّيء المطلقة أو الشّخص المشتملة على صفاته جوهريّة الّتي تميّزه عن غيره.

تستعمل كلمة الهُوّيّة من حيث الدّلالة اللّغويّة في الأدبيّات المعاصرة لأداء معنى الكلمة الفرنسيّة (identité) والكلمة الإنجليزيّة (identity) وهي في معناها اللّغويّ مُجمل الصّفات الّتي تميّز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها. "إذ يقوم التّحليل النّفسيّ على هوّيّة نحن-أنا فلا توجد هوّيّة أنا دون هوّيّة نحن"[4] والهوّيّة لا تخرج عن عمليّة تاريخيّة.

وبالتّالي يمكن الخروج بحوصلة حول المفهوم اللّغويّ للهُوّيّة مفادها أنّ الهُوّيّة هي التّجانس والتّطابق والوحدة، والحقيقة أنّ المفهوم اللّغويّ لا يعبّر سوى عن البعد النّفسيّ للشّيء المعرَّف، ومن هنا يمكن تقديم مقاربة مفاهيميّة من النّاحية الاصطلاحيّة.

ب - المفهوم الاصطلاحيّ:

الحقيقة الّتي لا ينبغي تجاهلها ونحن بصدد الحديث عن مفهوم الهُوّيّة هو أنّ هذه الأخيرة مصطلح حديث، لم تكن معروفة في ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة، ولم يعرفها العرب المسلمون إلاّ حديثا، وخير دليل على ذلك ممّا يزيح الشّكّ عن هذه الحقيقة هو خلوّ معجم "لسان العرب" و"المصباح المنير" و"القاموس المحيط" من هذا المصطلح الحديث، وبناءً على ما تقدّم ذكره يمكن القول أنّ الهُوّيّة مصطلح وافد إلى الثّقافة الإسلاميّة وليس أصيلا فيها، ممّا جعل نُخَبها المثقّفة تشتغل على البحث فيه لبيانه كنهه ومفهومه.

إنّ الهُوّيّة موضوع ظلّ في مفترق طرق بين علم النّفس وعلم الاجتماع، فالهُوّيّة هي مشكلة نفسيّة وتجربة شعوريّة، وجوهر الهُوّيّة هو أن يكون الإنسان

متطابقا مع ذاته وهي متعلّقة بجوهر الأشياء، بحيث يكون الشّيء هو هو، فهي تشير إلى جوهر الشّيء وحقيقته، وهي مجموعة المقوّمات الّتي تميّز جماعة من البشر عن غيرها وتشتمل على صفاتها الجوهريّة الّتي تبرز خصوصيّتها كاللّغة والتّاريخ والتّراث والفنون.

فالهُوّيّة تتكوّن عبر أزمات بمعنى الأزمات الّتي يمرّ بها الفرد أو المجتمع تاريخيّة كانت أو راهنة هي الّتي تؤسّس لهُوّيّته، "ورغم أنّ أساسها قائم على الثّبات إلاّ أنّها في تغيّر دائم سريع أو بطيء بعوامل ذاتيّة أو خارجيّة"[5].

مهما تعدّدت التّعريفات واختلفت المفاهيم إلاّ أنّها تبقى في جوهرها تلك السّمات والصّفات الجوهريّة الّتي ينفرد أو يتميّز بها الفرد أو المجتمع أو الشّعب عن غيره من الأفراد أو المجتمعات أو الشّعوب.

2 - مقوّمات الهوّيّة:

للهوّيّة مكوّنات ومقوّمات عديدة فهي تنسج وجودها عبر شبكة من العلاقات الّتي تندرج في الخانات الحضاريّة والمشتركات على رأسها:

أ - اللّغة:

يذهب ابن جنّيّ في تعريفه للّغة إلى أنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، فاللّغة هي لسان العرب المشترك وأداة التّعبير عن قيم حياتهم وتراثهم المشترك وطموحاتهم المستقبليّة، فهي مكوّن أساسيّ من مكوّنات الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، فهي ليست مجرّد أداة فحسب وإنّما هي لغة فكر بأكمله إذ نجد الّتي انضوت تحت لواء الإسلام وإن كانت تحتفظ بلغتها الوطنيّة، فإنّها اتّخذت من اللّغة العربيّة وسيلة للارتقاء الثّقافيّ والفكريّ[6] والسّبب الّذي جعل العربيّة تحظى بهذا الاهتمام وهذه المكانة الحضاريّة هو كون القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين ما يجعل العربيّة لغة أزليّة خالدة، فهذه اللّغة هي الّتي تؤمّن التّواصل والتّفاهم بين النّاطقين بها، وكونها عنصرا جامعا للعرب نجد المستعمر عمل على محاربتها ولا يزال يعمل ذلك بأساليب عدّة لطمس الهوّيّة العربيّة المميّزة، محاولا فرض لغته بدلا من اللّغة العربيّة كما نجده يشجّع على اللّهجات المحلّيّة على حساب

اللّغة العربيّة الفصحى.

ب - العامل الاقتصاديّ:

الهوّيّة مرتبطة بنمط التّنمية فاستقراره سبب في استقرار الهوّيّة، أمّا إذا كان مذبذبا فكذلك تكون الهوّيّة، فهو عامل حاسم في ترسيخ الهوّيّة الوطنيّة فالتّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة وحتّى السّياسيّة ترتبط بالعامل الاقتصاديّ، لأنّ تطوّر الاقتصاد ونموه يخلق الأسواق الكبرى وفي هذه الأسواق تولد مفاهيم وثقافات مشتركة بين قوى الإنتاج المختلفة (7).

ج - العامل السّياسيّ:

تبحث الهوّيّة السّياسيّة عن عناصر ترتكز عليها ضمن الهوّيّة الثّقافيّة، لأنّ هذه الأخيرة لها دور أساسيّ في الصراع غير المتكافئ على السّيطرة في العالم، ويمكن القول إنّ الهوّيّة السّياسيّة تعدّ الدّافع والغرض لهوّيّة متحرّكة المقاصد قادرة على التّجدّد بشكل أسرع من الهوّيّة الثّقافيّة وهي وليدة أوضاع داخليّة وعالميّة أكثر منها وليدة ذاكرة جماعيّة وفرديّة ضروريّة الاستحضار ومَن شكّلت أشكال الانتماء السّياسيّ (8).

د - المجال الجغرافيّ والتّاريخيّ:

هذا ما يطلق عليه تجربة المكان وهي ضروريّة في تشكيل الهوّيّة، فالهوّيّة هي الحفاظ على تلك السّمات والمميّزات رغم كل المتغيّرات، فالقدرة على البقاء فوق حواجز الزّمان والمكان هي الّتي تمنح هوّيّة ما قوّة الوجوديّة والاستمراريّة، فالأرض تعتبر كذلك وسيلة للاتّصال بين الأفراد والجماعات.

هـ - العامل الثّقافيّ:

أو ما يطلق عليه ثقافة شعبيّة مشتركة، فالثّقافة هي مرآة الأمّة وروحها وعنوان هوّيّتها، فهي إحدى أهمّ الرّكائز الّتي يقوم عليها بناء الأمم ونهوضها فنجد لكلّ أمّة ثقافة هي منبع خصائصها ومميّزاتها، فالعامل الثّقافيّ أساسيّ في تعريف الهوّيّة نظرا إلى أنّ الهوّيّة الثّقافيّة يندرج ضمنها النّظام القيميّ والأخلاقيّ والإبداع الفكريّ والأدبيّ والفنّيّ لكلّ أمّة أو شعب ممّا يحقّق خصوصيته وتميّز هذه الهوّيّة

من جهة وقدرتها على التّفاعل مع غيرها من الهويّات الثّقافية الأخرى بشكل إيجابيّ مع مراعاة حسن الانتقاء بما يتناسب وخصوصيّاتها ومقوّماتها.

و - العامل الدّينيّ:

الدّين هو أحد أهمّ مكوّنات الهويّة، فعلى أساسه تتشكّل ثقافة تلك الأمّة أو ذاك الشّعب، بمعنى تكون ثقافته متناسبة وتعاليم ذلك الدّين فهو الّذي يفرض بطريقة ما طبيعة الثّقافة ونمط العيش وسلوكيّات ذلك المجتمع.

3 - الهُويّة الثّقافيّة:

بالرّغم من تعدّد الآراء الّتي قيلت في الهُويّة الثّقافيّة إلاّ أنّها تُجمع في مجملها على ارتباطها بالعناصر الثّقافيّة، فهناك من يرى أنّها مجموعة من الأفكار والمعتقدات والعادات والتّقاليد والقيم والاتّجاهات وأساليب التّفكير الّتي تميّز مجتمع عن آخر، فجوهر الهُويّة الثّقافيّة ينمو ويتطوّر مع المعايشة عبر الزّمان والمكان، فهي نسبيّة غير مطلقة قائمة في الزّمان غير خارجة عن نسيجه[9] أي أنّها تتأثّر بالعوامل الذّاتيّة والخارجيّة.

فالهُويّة الثّقافيّة هي ذلك القالب الثّقافيّ المميّز للفرد أو الجماعة أو المجتمع، إنّها تعبّر عن نسق القيم المشترك والعادات والتّقاليد واللّغة السّائدة والفنون المميّزة الّتي يعيش الفرد أو المجتمع في إطارها، فهي ديناميّة غير ثابتة، فهي تنمو وتتحرّك وتتطوّر فتبنى على الماضي وتتّصل بغيرها، وتتفاعل بالأخذ والعطاء[10]. ويذهب البعض إلى أنّ ثبات الهُويّة إلى حدّ الجمود أنّما عزلة وانطواء ثقافيّ، فالهُويّة في نظرهم يجب أن تنمو، وأن تسمح لعوامل الإضافة والحذف ولكن بحذر.

مفهوم الهُويّة الثّقافيّة ليس ثابتا، وإنّما هو حركة تفاعليّة ينمو ويتطوّر من خلال الانفتاح على العالم متفاعلا مع سمات العصر، ومسايراً لها وفي الوقت نفسه محافظا على الإرث التّاريخيّ حيث القيم واللّغة والعادات والتّقاليد والأعراف.

الهُويّة الثّقافيّة هي سمات راسخة في ذوات أصحابها تمثّل وجودهم وكيانهم وتميّزهم عن غيرهم قابلة للتّغيّر والتّأثّر بالجديد لكن بما يتناسب مع المبادئ الّتي تقوم عليها، وبهذا يتم الحفاظ على ما يسمى بالتّراث الثّقافيّ الّذي لا يكاد يغيب

ذكره كلّما ذكرت الهويّة الثّقافيّة.

4 - التّراث الثّقافي:

يكاد يكون هذا المفهوم ملازما لذكر الهوية الثّقافيّة، فلا يمكن الحديث عن الثّقافة أو الهويّة الثّقافيّة دون ذكر التّراث الثّقافيّ، فالثّقافة الرّاهنة لمجتمع ما إنّما هي امتداد لتراثه، فإذا كانت الثّقافة تشمل القيم والمعتقدات والسّلوكيّات والممارسات الّتي تميّز شعبا معيّنا عن غيره، أي أنّها نمط للحياة الاجتماعيّة والعقليّة والرّوحيّة والماديّة لمجموعة من النّاس دون غيرهم في نطاق زمني وجغرافي محدّدين قابلة للتّغيير بما يناسبها، فإنّ التّراث الثّقافيّ يتمثّل في ذلك الموروث الفنّي والشّعبيّ الّذي يتمّ تناقله والاحتفاظ به عبر الأجيال فهو ثابت بشكل أكبر غير قابل للتّغيير، حيث يتمّ الحفاظ على الجوانب التّقليديّة والقيم القديمة ضمنه، فالتّراث الثّقافي بما يتضمّنه من ممارسات ومفاهيم وقيم متوارثة عبر الأجيال يشكّل هويّة ثقافيّة لمجتمع ما. فهو في مجمله عبارة عن كمّ معرفيّ تراكميّ يلخّص تجارب الإنسان السّابقة ولولا تلك التّجارب لما تقدّمت الحضارات البشريّة المتعاقبة عبر الزّمن.

يمكن تقسيم التّراث إلى قسمين هما:

التّراث المادّي: الّذي بدوره يشمل الممتلكات المنقولة أو الثّابتة ذات الأهميّة الكبرى كالمباني العمرانيّة والأماكن الأثريّة والتّحف الفنيّة والمخطوطات ذات القيمة التّاريخيّة أو الفنيّة أو الدّينيّة، كما يمكن إدراج الأزياء والألبسة التّقليديّة.

التّراث غير المادّي: يتمثّل في جملة التّفاعلات الاجتماعيّة وإبداعات الأفراد والجماعات على مرّ العصور[11] أي ذلك الكمّ التّراكميّ من التّجارب الّذي حلّفه الإنسان في الأزمنة السّالفة، فهو تراث غير ملموس يشمل الممارسات والعادات والتّقاليد وأشكال التّعبير والمعارف والمهارات.

إنّ الحفاظ على التّراث الثّقافيّ وحمايته من أمواج العولمة هو حفاظ على الهويّة وذاكرة الحضارة، فلا حضارة دون ذاكرة أو تاريخ يمجّده شعبها.

5 - العولمة مفهومها وأصلها التّاريخيّ:

أ - لغة:

إنّ العولمة في اللّغة العربيّة هي مصدر مشتقّ من الفعل "عَوْلَمَ" ويقابله في اللّغة الفرنسيّة كلمة (mondialisation) ومعناها العالميّة، والمصطلح في أصله اقتصاديّ الجوهر لكنّه فيما بعد تعدّى إلى أنماط أخرى من أنشطة الحياة[12]، ويطلق عليها تسميات أخرى كالشّموليّة والكوكبة.

يرى محمّد عابد الجابريّ أنّ المعنى اللّغويّ لمصطلح العولمة "هو جعل الشّيء على مستوى عالميّ أي نقله من المحدود والمُراقَب إلى اللّامحدود"[13] يعني جعل الشّيء يتميّز بطابع العالميّة أي إخراجه من الخصوصيّة إلى العامّ.

لقد تعدّدت مفاهيم العولمة لكنّها تتمحور كلّها معنى واحد يفيد الانتشار والشّمول والكونيّة والكوكبة سواء في الجانب الاقتصاديّ أم السّياسيّ أم الثّقافيّ وغيره من المجالات المرتبطة بحياة الإنسان، وهذا يُحيلنا للبحث في المفهوم الاصطلاحيّ.

ب - اصطلاحا:

ممّا ينبغي الإشارة إليه قبل تحديد المفهوم الاصطلاحيّ هو أنّه من الصّعب ضبط تعريف دقيق لكلمة العولمة نظرا لتداخله مع مفاهيم أخرى مثل: الكوكبة والعصرنة والنّظام الدّوليّ الجديد، فالعولمة هي الأخرى أثارت جدلا واسعا بين الباحثين والمفكّرين من حيث مدلولها الاصطلاحيّ.

فهذا "محمّد أمحزون"[14] يرى أنّ العولمة فعل تاريخيّ متواصل وهو نتاج المعركة الحاصلة بين العالميّات والنّماذج الحضاريّة المختلفة الّتي يؤمن أصحابها بأنّ لهم رسالة تحدّد المثال الإنساني الّذي ينبغي تعميمه في نظرهم[15].

فالعولمة بمفهومها المعاصر يمكن القول عنها أنّها تيّار من صنع أمريكيّ إنّها آليّة للسّيطرة لكن بطابع سلميّ بعيد عن العنف الّذي طبع الاستعمار القديم، فهي تشمل شتّى المجالات سياسيّة كانت أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو سلوكيّة أو ثقافيّة، فهي نظام فرض خططه ومناهجه في مجالات عدّة إلى أن طال المجال

الثّقافيّ أو ما يمكن تسميته بالهُوّيّة الثّقافيّة وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه بالغزو الثّقافيّ وهو أعلى درجات الاستعمار.

من خلال ما سبق ذكره نخلص إلى أنّ العولمة ما هي إلاّ هيمنة اقتصاديّة وسياسيّة شقّت طريقها نحو الهيمنة الثّقافيّة، "وتمثّل مرحلة أبعد من النّظرة الأوروبيّة السّابقة الّتي ترى أنّ التّاريخ ينتهي في التّاريخ الأوروبيّ، وأنّ الحضارة الأوروبيّة هي قمّة تطوّر البشريّة"(16).

6 - مظاهر تجليّات العولمة:

تعتبر العولمة ظاهرة شاملة تأخذ الصّبغة العالميّة، باعتبار أنّ كلّ مكوّناتها لا تراعي الحدود الجغرافيّة والإقليميّة، فنجد شموليّتها تمسّ كلّ المجالات الحيويّة للإنسان(17) نذكر منها:

أ - التجليّات الاقتصاديّة:

فهي تتجلّى من خلال التّبادل الاقتصاديّ والتّجاريّ بين الدّول ويبدو ذلك واضحا في نشاط التّكتّلات الاقتصاديّة العالميّة كالسوق الأوروبيّة والشّركات العابرة للقارّات، فالعولمة تعود إلى أصل اقتصاديّ أساسه إزالة الحواجز والحدود أمام الحركة التّجاريّة، إلاّ أنّنا نجدها قد تخطّت الاقتصاد وتعدّته لتصيب الحياة الثّقافيّة للشّعوب والمجتمعات، وبهذا فهي تهدّد هوّيّاتهم الثّقافيّة.

ب - التّجليّات السّيّاسيّة:

يظهر ذلك من الدّعوة إلى الدّيمقراطيّة والتّعدّديّة السّيّاسيّة وتقهقر الأنظمة الشّموليّة والتّسلّطيّة.

ج - التّجليّات الثّقافيّة:

فهي تسعى إلى خلق سياسة ثقافيّة عالميّة تفرض سلوكيّاتها وأنماط عيشها وتفكيرها ويتجلّى ذلك من خلال التّقليد الأعمى من طرف المجتمعات العربيّة الإسلاميّة للثّقافة الأوروبيّة والأمريكيّة من حيث اللّباس أو نمط العيش وطرق التّفكير، والسّبيل الّذي جعل العولمة تمرّر ثقافتها وأنماط عيشها هو مجال الإعلام والاتّصال وقنوات البثّ الفضائيّ، إذ نجدها من خلال ما ينقله الإعلام أو تبثّه

البرامج تسعى إلى غرس أفكارها وثقافتها وترسيخها لدى المتابعين خاصة الأجيال النّاشئة، وبهذا فعلا تمكّنت من الانتشار والسّيطرة على أذواق النّاس.

7 - نموذج عن التّجليّات الثقافيّة للعولمة على مستوى التّراث الثّقافي الجزائري:

اللّباس التّقليدي: هو مجموعة الأزياء أو الألبسة الّتي توارثها الجزائريّون عبر الأجيال وحافظوا عليها على مرّ الزمن، وتظهر جليّا في المناسبات كالأعياد وحفلات الزّفاف وغيرها من المناسبات الّتي تعتبر فرصة يظهر فيها الجزائريّ مدى تمسّكه بهويّته وتراثه، إذ تجده حريصا على ارتداء الأزياء التّقليديّة الّتي تعكس ثقافته وأصوله وتاريخه وعراقة حضارته، والجزائر باعتبارها البلد القارّة بشساعة مساحتها وتعدّد لهجات سكانها غنيّة كذلك بثقافتها، إذ تجد لكلّ منطقة زي تقليدي يميّزها عن المناطق الأخرى سواء كان خاصّا بالرّجال أو النّساء والّتي كان لهنّ حصّة الأسد في الأزياء التّقليديّة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "الجبّة النّايليّة" و"الجبّة القبائليّة" و"الجبّة العنّابيّة" و"الكراكو العاصمي" و"البلوزة الوهرانيّة" و"الشّدّة التلمسانيّة" و"الفرقاني القسنطيني"... كل هذه الألبسة التّقليديّة وغيرها مازالت تحافظ على صورتها التّقليدية وذلك من خلال طريقة نسجها وحياكتها وطرزها إلاّ أنّها لم تسلم من العصرنة الّتي تساير الموضة العالميّة وهذا ما له علاقة بالعولمة وما تحدثه من تغييرات ولو كانت طفيفة، ومن أمثلة ذلك نذكر التّغيير الّي طرأ على نوعيّة الأقمشة الخاصة بالألبسة التّقليديّة فبعدما كان يعتمد في حياكتها على قماش تقليدي أصلي معين، أصبحت تحاك بأقمشة أخرى عصرية مثل قماش "الساري الهندي" في خياطة "القفطان" وقماش "الدونتيل" في خياطة "الجبّة النايلية" و"الجبة السطايفيّة"، أيضا حدثت تغييرات من حيث تصميم شكل هذه الأزياء التّقليدية، حيث تم اعتماد تصاميم عصرية جديدة تواكب موضة التصاميم العالميّة مثل "القفطان" و"الكراكو" تم إبقاء قماش الجهة الخلفية السّفليّة طويلة ليضفي لمسة أوروبيّة تشبه فساتين الملكات، كما تمت إضافة بعض الأكسسوارات الّتي ترافق هذه الألبسة التّقليدية، فبعدما كانت تعتمد المرأة على الحلي الذّهبي أصبحت تتزيّن بمجوهرات مختلفة الألوان حتى أن هناك مجوهرات

تدعى "مجوهرات حريم السّلطان" نسبة إلى مسلسل تركيّ، وكذلك نذكر "التّاج" الّذي يلازم العروس في زفافها والّذي اشتهرت به ملكات بريطانيا سابقا.

8 - أزمة الهُوّيّة الثّقافيّة ومخاطرها:

نقول عن مجتمع ما أنّه يعاني أزمة ثقافيّة إذا تعذّر عليه أن يشارك بفعّاليّة في التّطوّر العالميّ محتفظا بسماته وملامحه المميّزة له خلال عمليّة التّفاعل في ضوء سمات العصر ومتطلّباته[18]، ومن هنا سيرى المجتمع أنّ ثقافته عاجزة عن إشباع حاجياته في ضوء التّطوّرات العالميّة المحيطة به، ولعلّ في هذا إشارة إلى ضرورة التّجديد الثّقافيّ مع مراعاة حسن الانتقاء وغربلة التّراث الثّقافيّ من كلّ ما علِق به من شوائب أثناء مسيرته التّاريخيّة، بحيث يكون هذا التّجديد والانتقاء يفي بمتطلّبات العصر من جهة ولا يتنافى والهُوّيّة القوميّة من جهة أخرى، يساير التّقدّم بعيدا عن التّقوقع والجمود.

فأزمة الهُوّيّة الثّقافيّة تتفاقم إذا افتقد الإطار الثّقافيّ لمجتمع ما قدرته في تلبية متطلّبات هذا المجتمع[19]، وقد يزداد الأمر خطورة في حال التّغيّرات السّريعة والعميقة، ممّا قد يفقد ذلك الإطار الثّقافيّ أصالته فهو يمثّل سياجا يحمي ويوجّه حركة المجتمع الواقعيّة وتطلّعاته المستقبليّة، وبذلك فإنّ أزمة الهُوّيّة الثّقافيّة ما هي إلاّ مشكلات ثقافيّة وصراع بين الثّقافات الوطنيّة والثّقافات الأجنبيّة وبين الذّات الوطنيّة والسّيطرة الأجنبيّة.

9 - مخاطر العولمة على الهُوّيّة الثّقافيّة:

تسعى العولمة إلى تشتيت الهُوّيّة وتعميق الهُوّة بين الإنسان ووجدانه، ومن جملة الأخطار نذكر :

- انتشار ثقافة الاستهلاك، فالعولمة تمجّد الثّقافة الاستهلاكيّة إلى أبعد الحدود ومن ثمّ تشويه التّقاليد والأعراف السّائدة.

- تنادي العولمة بالعلمانيّة، أي فصل الدّين عن الواقع وهي بهذا تسعى إلى تغريب المسلم وعزله عن قضاياه الإسلاميّة وإدخال الشّكّ في جميع قناعاته الدّينيّة وهوّيّته الثّقافيّة.

- إشاعة الجنس والعنف ممّا يترتّب عنه انتشار الرّذيلة والجريمة في المجتمعات الإسلاميّة.
- بثّ القنوات الفضائيّة برامج تشكّل خطرا على النّظام التّعليميّ والحياة الثّقافيّة ونمط الحياة الاجتماعيّة.
- انتشار الأزياء الغربيّة الّتي تحمل في طيّاتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافة الأمم المستوردة لها.
- تكريس النّزعة الأنانيّة لدى الأفراد وتعميق مفهوم الحرّيّة الشّخصيّة وهذا بدوره يؤدي إلى تمرّد الشّخص على النّظم والأحكام الشّرعيّة الّتي تحكمه[20].
- النّيل من الثّقافة الوطنيّة عبر صياغة نظم اجتماعيّة سواء كانت أخلاقيّة أم ثقافيّة، وإزالة ما بين الشّعوب من اختلافات ثقافيّة، وهذا بدوره يهدّد خصوصيّة الحضارات.
- تعمل العولمة على تسريع نقل الأفكار ممّا يؤدّي إلى التّكامل وبالتّالي تدفع نحو عموميّة كوكبيّة تقضي أو تقلّل من الثّقافة الوطنيّة المحليّة.
- تغريب الثّقافات الوطنيّة عبر وسائل الإعلام والتّقنية الحديثة واحتكارها.
- تسعى آليّات العولمة إلى المساس بالثّوابت المرجعيّة في الثّقافة مثل: القيم الدّينيّة، المخزون الثّقافيّ والحضاريّ.

فثقافة العولمة ثقافة مادّيّة بحتة لا مجال فيها للرّوحانيّات أو العواطف النّبيلة، هدفها المنشود إلغاء الثّقافات الوطنيّة وجعلها تابعة لها.

الخاتمة:

إنّ المتتبّع لإشكاليّة الهوّيّة عامّة والهوّيّة الثّقافيّة العربيّة الإسلاميّة خاصّة في علاقتها بظاهرة العولمة – وهو بصدد فهم هذه الإشكاليّة – تستوقفه جملة المقاربات المفاهيميّة الّتي تتشكّل منها هذه القراءة لأنّ مصطلحي الهوّيّة والعولمة يمثّلان حدّين أساسيّين لهذه الإشكاليّة فنجد أنّ ضبط المفاهيم والتّصوّرات لم تعد هي الأخرى تنال إجماع المفكّرين والفلاسفة، فمفهوم الهوّيّة ما يزال هلاميّا وكذلك بالنّسبة لمصطلح العولمة فهناك من يراها مفهوما جديدا يعبّر عن

الاستمراريّة الملازمة لحركة التّاريخ ينبغي الاستفادة منها لمواكبة العصر، وفريق آخر يرى أنّ المصطلح غير بريء يحمل في طيّاته ما من شأنه تشتيت الهوّيّة الثّقافيّة العربيّة الإسلاميّة وخلق ما يسمّى بالاغتراب.

وبين هذا التّضارب بين الآراء الرّافضة والمؤيّدة نجد من الضّروريّ تبنّي أسلوب الفهم العقلانيّ في مواجهة مشاكلنا الحضاريّة المتعلّقة بالآخر حتّى لا نعيش في عالم منغلقّ بعيدا عن قضايا العصر، مع وجوب الحذر في التّعامل مع الآخر في إطار الحفاظ على التّراث الثّقافي باعتباره جزء لا يتجزّأ من هويّتنا الثقافيّة وكذلك كونه ذاكرة حضارتنا وتاريخها المجيد، فإنسان عصر العولمة هذا بات يعاني من أزمة في الهوّيّة عموما الّتي يحقّ علينا تسميّتها بأزمة العصر.

الهوامش:

1 – ينظر، شريف رضا: الهويّة العربيّة الإسلاميّة وإشكاليّة العولمة عند الجابريّ، مؤسّسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر 2011م، ص 13.

2 - المرجع نفسه، ص 14.

3 - ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، الجزء الثّاني، ص 170.

4 - عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوّيّة والثّورة على الدّولة في غياب المواطنة وبروز الطّائفيّة، دار السّلام، ط1، القاهرة 2012م، ص 85.

5 - نفسه،

6 - ينظر، المرجع نفسه، ص 89.

7 - ينظر، غازي بن عبد الرّحمن القصيبي: العولمة والهوّيّة الوطنيّة، مكتبة العبيكان، ط2، الرّيّاض 2002م، ص 30.

8 - ينظر، د. عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوّيّة والثّورة على الدّولة في غياب المواطنة وبروز الطّائفيّة، ص 92.

9 - ينظر، لطيفة إبراهيم خضر: هوّيّتنا إلى أين؟، عالم الكتب، ط1، القاهرة 2009م، ص 327.

11 - ينظر، حمزة وهاب: الحماية الجنائيّة للممتلكات الثّقافيّة على المستويين الوطني والدولي، مجلّة طبنة للدراسات العلميّة والأكاديميّة، مجلد 5، عدد 1، 2022م، ص 769.

10 - ينظر، المرجع نفسه، ص 328.

12 - ينظر، محمّد أمحزون: العولمة بين منظورين، دار السّلام، ط1، القاهرة 2008م، ص 25.
13 - عابد الجابريّ: قضايا في الفكر المعاصر، مركز الدّراسات للوحدة العربيّة، ط2، بيروت 2003م، ص 136.
14 - محمّد أمحزون، أستاذ وباحث في التّاريخ الإسلاميّ من أصول مغربيّة، متحصّل على شهادة الماجستير من جامعة الملك سعود بالرّيّاض سنة 1984م، وشهادة الدّكتوراه من جامعة محمّد الأول بوجدة سنة 1989م، شغل منصب رئيس وحدة التّكوين والبحث لنيل الدّكتوراه، من أشهر أعماله منهج النّبيّ (صلىّ الله عليه وسلّم) في الدّعوة من خلال السّيرة الصّحيحة.
15 - ينظر، محمّد أمحزون: العولمة بين منظورين، ص 7.
16 - مجموعة من الباحثين: تحرير وتقديم رياض زكي قاسم، الهوّيّة وقضاياها في الوعي العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، بيروت، نوفمبر 2013م، ص 237.
17 - ينظر، تأليف جماعيّ: الثّقافة الجزائريّة في ظلّ العولمة، إشراف مرقومة منصور، منشورات مخبر حوار الحضارات، التّنوّع الثّقافيّ وفلسفة السّلم، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، ص 27.
18 - ينظر، النّاصر عبد اللاّوي: الهوّيّة والتّواصليّة في تفكير هابرماس، دار الفارابي، ط1، بيروت 2012م، ص 179.
19 - ينظر، حسن حنفي: الهوّيّة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط1، القاهرة 2012م، ص 25.
20 - ينظر، غازي بن عبد الرّحمن القصيبي: العولمة والهوّيّة الوطنيّة، ص 11.

References:

1 - ‘Abd al-Lāwī, Al-Nāṣir: Al-huwiyya wa at-tawāṣuliyya fī tafkīr Jürgen Habermas, Dār al-Fārābī, 1st ed., Beirut 2012.

2 - Al-Jābirī, ‘Ābad: Qaḍāyā fī al-fikr al-mu‘āṣir, Markaz al-Dirāsāt li al-Waḥda al-‘Arabiyya, 2nd ed., Beirut 2003.

3 - Al-Quṣaybī, Ghāzī Ibn ‘Abd al-Raḥmān: Al-‘Awlama wa al-huwwiyya al-waṭaniyya, Maktabat al-‘Abīkān, 2nd ed., Riyadh 2002.

4 - Amaḥzūn, Muḥammad: Al-‘awlama bayna manzūrayn, Dār al-Salām, 1st ed., Cairo 2008.

5 - Ḥanafī Ḥasan: Al-huwwiyya, Al-Majlis al-A‘lā li al-Thaqāfa, 1st ed., Cairo 2012.

6 - Ibn Manzur: Lisān al-ʻArab, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-ʻArabī, Beirut.

7 - Khuḍar, Laṭīfa Ibrāhīm: Huwwiyyatunā ilā ayn?, ʻĀlim al-Kutub, 1st ed., Cairo 2009.

8 - Markuma, Mansour et al.: Ath-thaqāfa al-jazā’iriyya fī zil al-ʻawlama, Publications de l’université de Mostaganem, Algérie.

9 - Qāsim, Riyyāḍ Zakī et al.: Al-huwiyya wa qaḍāyāhā fī al-waʻy al-ʻarabī, Markaz al-Dirāsāt li al-Waḥda al-ʻArabiyya, 1st ed., Beirut 2013.

10 - Raḍwān, ʻAbīr Basyūnī: Azmat al-huwwiyya wa at-thawra ʻalā ad-dawla fī ghiyyāb al-muwāṭana wa burūz at-ṭā’ifiyya, Dār al-Salām, 1st ed., Cairo 2012.

11 - Riḍā, Sharīf: Al-huwwiyya al-ʻarabiyya al-islāmiyya wa ishkāliyyat al-ʻawlama ʻinda al-Jābirī, Mu’assasat Kunūz al-Ḥkma, Algiers 2011.

12 - Wahhāb, Ḥamza: Al-ḥimāya al-jinā’iyya li al-mumtalakāt at-thaqāfiyya ʻalā al-mustawayayn al-waṭanī wa ad-duwwalī, Majallat Ṭubna, V.5, Issue 1, 2022.